كبير . لقد كان السكان العرب قليلي العدد ولامبالين الى درجة اصبحت معها الارض غير مزروعة ومتروكة »(١). وتلك الاخرى ايضا : « عندما قدمت الى هنا (أي ١٩١٣) لم تكن سوى صحراء متخلفة ان لم نقل أسوأ . لم يكن هناك شيء . وهم لم يهتموا باستعادتها الا بعد أن جعلتنا الصحراء تزهر وتمتلىء بالسكان »(٢).

فليراجع فاينشتوك اذن ، على سبيل المثال ، دليل سوريا وفلسطين لبادكر في طبعته الرابعة سنة ١٩١٢ حتى يرى أن الصادرات من مرفأ يافا وحدها قد وصلت في عام ١٩٠٨ — ١٩٠٩ الى قيمة عشرة ملايين ونصف المليون فرنك ذهبي (من بينها مليونان ونصف فقط ثمن برتقال) في حين ان الواردات بلغت ما مجموعه ١٥ مليون فرنك ذهب . وكانت حركة المرفأ سنة (١٩٠٩ — ١٩١٠) ١٨١٨ باخرة حمولتها ما مجموعه ١٬٢٤٣٬١٦٠ طنا . وفي مرفأ حيفا (الذي لم يشر فاينشتوك حتى الى وجوده) كانت قيمة الصادرات سنة ١٩١١ ٥ ملايين فرنك ذهب وقيمة الواردات ١٥ مليونا . « وكانت غزه ، ذلك المخزن الكبير لتجارة الشعير ، تصدر سنويا ما قيمته ٧ او ٨ ملايين فرنك — ذهب من الحنطة والشعير والذرة . وكانت غلال الزيتون لا بأس بها » . اما بالنسبة الى الصناعات المحلية فان كتاب بادكر يشير الى صناعة السكاكين وأدوات الحراثة في الناصرة وزيت الزيتون والصابون في نابلس والزجاج والاقمشة القطنية في الخليل الخ..

وفي حيفا ، كانت « الكروم تحتل مساحة واسعة من سفوح الكرمل وتنتج خمرا ممتازا » ، وجبل الكرمل « دائم الخضرة كل أيام السنة »، ومرج بن عامر « حسن الزراعة » ، وفي الناصرة « كان معظم السكان ينعمون بنوع من الرخاء في العيش : كانوا يتعاطون الزراعة والعناية بالحدائق وتربية الماشية وكانوا يتاجرون بالقطن والحبوب » ، وكانت سفوح جبل الطور مغطاة بشجر السنديان والفستق ، وكانت ضواحي نابلس تنتج « حنطة ممتازة » ، اما خضار بيت لحم فهي « من النوع الممتاز » ، وفي بيت جالا زراعة حسنة لاشجار الزيتون ، ودير ياسين محاطة بالبساتين المثمرة ، والخليل مشهورة بزراعة اشجار الزيتون والمشمش واللوز والكرمة ، وعين التنر محاطة بأشجار الليمون ، والطريق الى بيت جبرين تمر « بسهل حسن الزراعة » ، وبين بيت جبرين وغزة لا يوجد الا زراعة اشجار الزيتون وحقول التبغ والسمسم، وغزة نفسها محاطة بالبساتين ، ومؤخرة البلاد حسنة الزراعة اذ أنها تزود البلاد بالتمور والتين والزيتون والخضار الخ...(٣). ان حركة اسرائيل الكبرى أو أشكول او فاينشتوك لن ينجحوا في اقناعنا ، خلافا لكل منطق ، بأن فلسطين كانت ، قبل ١٩١٤ ، « ركنا مغمورا » بائسا وبدائيا .

في الصفحات ٨١ — ٨٢ يورد فاينشتوك وثيقة صادرة عن « مناضلين اشتراكيين اسرائيليين » وبشكل خاص هذا المقطع منها : « دخل الاستعمار الروتشيلدي في صراع مع عرب فلسطين بسبب قضية واحدة : امتلاك الاراضي . كان البارون يشتري الارض من الافندية ، بواسطة رشوة الادارة المحلية أحيانا ، ويطرد الفلاحين منها . ومن ثم كان الفلاحون المطرودون من أملاكهم يشغلون كعمال زراعيين في مستعمرات البارون ، حسب مسار العملية الاستعمارية المعهودة » . يعلق فاينشتوك : « كان المستعمر على الطريقة الروتشيلدية يمشي جنبا الى جنب مع العربي فيعمل معه ويتفهمه في حين ان الرائد لم يكن على اتصال بالفلسطينيين بسبب نمط الاقتصاد المنفصل ذاته ». حقا ما كان اعظم حظ الفلاح الفلسطيني في تمكنه من العمل في اراضيه السابقة لحساب سيد كان يقبل ، بعد سلبه لاراضيه ، بالعمل الى جانبه وباستغلاله مكانئا اياه « بتفهمه » !

ان فاينشتوك الذي يعتبر نفسه مناضلا في سبيل التضامن مع المقاومة الفلسطينية فيسمح لنفسه باطلاق الاحكام التقييمية بحق المقاتلين الفلسطينيين لا يقف عند حد تبييض صفحة المستعمرين الروتشيلديين : انه يكذب بحق الابطال التاريخيين لحركة التحرر . انظروا ما كتبه عن عزالدين القسام

---

١ — وثيقة « حركة اسرائيل الكبرى » التي ظهرت في صحيفة « **الجيروزالم بوست** » في ٢ ك١ ١٩٦٨ — المنتخبات الاسبوعية — ص ١٠ — ١١ .

٢ — مقابلة لليفي اشكول نشرت في «**النيوزويك**» ١٧ شباط ١٩٦٩ .

٣ — أوردها جورج فوشيه في « **وثائق فلسطين عدد ٢** » التي تصدرها مجموعة الدراسات عن الشرق الاوسط في جنيف .